وفصل الطيران من اسخف الفصول واقلها جدوى لان الطيران غاية لا ينالها الانسان وقد عاد طلاً بهُ بخفي حنين حتى اضطرّ المخترع مكسيم ان يهمله بعد ان انفق عليهِ ستة عشر الفاً من الجنيهات ولكن سائر فصول هذا الباب من اهم ما اشتغل بهِ البشر كما هو من اقدم ما استعملوهُ . ولو بُعث الاشوريون والمصريون والفينيقيون ورأوا هذا العرض ولم يروا فيهِ شيئاً لابنائهم لا عَرَبةً ولا مركبةً ولا مركباً ولا اسلحةً من الاساليب التي استعملوها في نقل المسلاّت من اصوان الى الاسكندرية والارز من لبنان الى اشور والذهب من اوفير الى اورشليم والطرق الهندسية التي بنوا بها اهرام مصر وقصور بابل وهيكل سليمان وايوان كسرى — لو بُعثوا ورأوا ان العمران الذي وضعوا اركانهُ وشادوا بنيانهُ بقي حيثما تركوهُ ثم عاد القهقرى الى ان اضمحلّ ولم تبقَ الاّ آثارهُ واياماً لا يفقهون لها معنًى ولا يدركون لها فحوًى — لو بُعثوا ورأوا ذلك لفاضت عيونهم دماً وفضّلوا سكنى القبور على مشاهدة ما اصاب ابناءهم من الذل والصغار وما حلّ ببلادهم من البوار والدمار . هذا وقد ملّ القارئ من الاطالة في وصف هذه الابواب فارجيء الكلام على باقيها الى الاجزاء التالية

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الزراعة في الصين

العضو الثاني من الاعضاء الرئيسة الممتلئة سلامةً وحياةً من جسم هذه المملكة هو الزراعة ولعمري مهما علا كعب الصينيين في الصناعة وفضلوا فيها سواهم واطاعتهم لهم في تذليل الجماد لخواطرهم وتسخيرهم المادن لتصوراتهم فان ايديهم في حراثة الارض اطول وملكتهم في الزراعة لا تقل رسوخاً عن ملكتهم الصناعية وبالاجمال فان لم تجاوز الزراعة عندهم شاو الصناعة فانهما في وزن واحد من الاتقان وتقدير واحد من الايفاء وعليهما معوّل سكان هاتيك المملكة في معايشهم وبهما قوام وجودهم. والزراعة محترمة جداً عند الصينيين يشوبها لديهم شيء من التقديس ويمازج اكرامها عندهم ذرورٌ من الاعتقاد الجاهلي بان الزارع عندهم هو الذي يغذي الناس ويكفل لهم اقواتهم حتى ان السلطان نفسهُ يتعهّد بالزارع الاكبر لانهُ هو العائل الاعظم للمملكة والمملكة معولة بهِ. وكان من جملة عوائدهم التي نسخت ان يحرث الارض بيدهِ ثلاثة ايام متوالية في اواخر شهر آذار وهو مرتدٍ ثوب اكثار وكفى بذلك حرمة لمقام الزراعة واكباراً لقدرها في اعينهم

وما زالت تروى في هذا الموضوع عن سلاطينهم النكات حتى لقد تناقل الخلف عن السلف منهم انهُ في جوار مدينة (ينغبو) حذاء الجبال المسماة بالجبال الزرق في سهل افيح هنالك كان السلطان (تشين) منذ اربعين قرناً ماسكاً بسكة حراثة يحرث الارض على فيل

ومما فرضهُ القانون الصيني قيام صاحب الملك دائباً بحراثة ارضهِ واصلاحها فاذا اهملها مدة ثلاث سنين فقط حق للحكومة نزعها من يدهِ وتسليمها لآخر. واغرب من ذلك ان شيخ القرية ولقراهم شيوخ كما في سائر البلاد مسؤول هو نفسهُ عن اراضي قريتهِ مطالب بتطبيقها بالعمل فاذا وُجدت معملة او وُجد بعضها معملاً جوزي الشيخ على ذلك بجلدهِ مائة سوط وبالجملة فاهمال الارض عندهم حوب كبير وهو منكر في جميع البلدان الا ان ربط هذا الانكار في الصين بعادة قانونية وتحقيقهُ بجزاء لما يدل على غلو تلك الامة بحب الزراعة وانهم يقدرونها قدرها ويعرفون مكانها من عمارة البلاد وما غلت امة احتاطت بالقوانين لتوثيق اسباب المعيشة وتأمين دعائم العمران

وقد ساعد الصينيين في اتقان زراعتهم فضلاً عن قوانينهم ومشرب حكومتهم خلقهم المشهور في الصبر وسجيتهم المعروفة في الثبات مع بصرهم النافذ بهذا الفن وممارستهم الطويلة لهُ وان كان الصبر رائد كل نجاح وطليعة كل نصر فهو لهذا الامر الزم وبهِ اخلق والصيني يسقي اشجارهُ وبقولهُ بيدهِ كما يسقي البستاني حديقة قصر ويُدلل ازاهير روضٍ وهو يحنو على اغراسهِ ونبات ارضهِ حنو الناظر على الفطيم ومع الثبات وطول الاناة وتكرر التجربة صار الصيني يستثمر من ارضهِ اضعاف ما يستثمر سواهُ ويستدرّ من اضراعها ما لا يستدرّهُ الفلاح الاوربي لو قام مقامهُ وناهيك انهم بلغوا من درجة الاستثمار ان العشرين شخصاً من الصينيين يعيشون طول السنة بحصول هكتار واحد من الارض في بعض الاماكن كذا رواهُ الثقات من سياح الافرنج فكأن الفدان الواحد يقوم بمؤونة ثمانية اشخاص تقريباً وهذا شأوٌ متناهٍ. وقد روى ابو القاسم بن حوقل في المسالك والممالك عن عمارة صقع بخارا : ان الرجل ربما قام على الجريب الواحد فيكون منهُ معاشهُ . وقد اختُلف في الجريب فعلى روايةٍ هو اربعة اقفزة والقفيز ستة عشر رطلاً وعلى روايةٍ هو عشرة اقفزة وربما وقع الاختلاف باختلاف البلدان كما هو في سائر المكاييل والمقاييس لكن ذكر قدامة في كتاب الخراج ان الاسهل اذا ضرب في مثلهِ فهو الجريب والاسهل طول ستين ذراعاً فاذا ضربنا ستين في ستين حصل معنا ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هذا هو الاصح في الجريب وهو منقول عن المكيال وكيف كان الامر فما ذكر عن الصين ابلغ لأن ما ذكرهُ ابن حوقل عن الجريب البخاري وان كان غايةً في العمارة

فهو دون ما يرويه بعض جغرافيي الافرنجة عن بعض اراضي شنغاي مثلاً كما ترى من نسبة الجريب الى الفدان ونسبة الواحد الى الثمانية

نعم ان الفلاح الصيني لا يعرف تحليل الارض كيماوياً معرفة الفلاح الاوربي ولم يأخذ علم خواص الاتربة عن كتب الفن ولكن التجربة كفته مؤونة النظريات فصار يعرف خاصة كل تربة وماذا يجب ان يعاقب على ارضه من الزروع واصناف البذور وماذا يلزمها من السماد وهو يبدو يحرثها ويكروها ويزرعها وينقيها من الاعشاب ويبدو يشتّ ما غلظ وما تلع من التراب وله معرفة بتربية الحيوانات وتدجينها تأنيس شواردها وتذليلها لخدمته وله مسكة ايضاً في تربية الطير. ومن غريب ما يحكى من عناية الصينيين بذلك انهم يضعون في عنق الحمام صفارة صغيرة من قشر البامبو في لطافة الورقة بحيث تحتملها الحمائم بين ريشها فتقيها بصفيرها من انقضاض الجوارح عليها وانهم يعلمون بعض الطيور الصياح في ساعات معينات من النهار فاذا شاهدوا اغفال الطائر عن الساعة المعلقة. وقد بلغ من شدة حذقهم وحيلتهم انهم يصيدون احياناً بايديهم الاسماك التي تعصى على الشباك والخطاطيف ومن كان هذه حالهم في الصبر على الطبيعة فلا غرو اذا جاؤا زرّاعاً ماهرين وأكرة حاذقين

وقلّ ان يوجد في الصين اراض غفلاً من وسم الزراعة فان الارض عندهم محروثة مغروسة مذللة للسكك غرراً ونجداً حتى انك لتجد الغراس والحرث فيها على علو ثلاثة آلاف متر من سطح البحر وهذا نادر او غير معهود في غير بلادهم ولذلك قامت تلك البلاد بهيرة اربعمائة مليون من الآدميين واحسّت بفضلة فان قيل ان مساحتها متسعة فهي وان اتسعت ضيقة بهذه الاعداد الهائلة ولولا حسن استثمار الارض ما كفتهم مؤونتهم بل كانت المساغب والمجاعات عندهم اكثر مراراً مما هي الآن واغرب من كون محاصيلهم كافية لهم وانهم لا يجلبون الا ما ندر من الخارج ان الفاضل فوق كفايتهم قد بنى عليه تجارة مهمة مع الغرب واهم زراعة عندهم في زراعة الارز فالارز سيد طعامهم والارض المزروعة ارزّاً هي ثمن مجموع اراضي الصين على الاطلاق

ومن اهم محاصيل الصين الشاي والقطن وقصب السكر والقنب وعندهم انواع من الفاكهة وقد دخلت بلادهم الذرة والبطاطة. ومحصول الحرير من الصين يزيد على نصف محصول الدنيا باسرها

واقوم اهل الصين على الزراعة والصناعة هم سكان ايالات سانشوان وفوكين كما ان قدرهم على التجارة هم اهل شانسي

التجارة في الصين

اما التجارة في الصين فهي غير متناسبة مع الزراعة والصناعة وشأنها عند الصينيين دون

شأنهما وقد اتسعت مؤخرًا بدخول الاجانب ولكنها لا تزال دون جسامة حاتيك المملكة وقد عدلت قيمة البضائع التي تدخل وتخرج في موانى الصين سنويًا وذلك منذ سنوات فبلغت ثلاثة مليارات من الفرنكات والزيادة واقعة سنة فسنة. وقد كانت واردات كانتون سنة ١٨٧٩ نحو ٦٣ ٩٥١ ٠٠٠ فرنكًا وصادراتها ١٢١ ٣١٥ ٩٧٥ فرنكًا فبلغت الواردات والصادرات سنة ١٨٨٢ نحو ٢٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك وهي زيادة ثلاث سنوات فقط[1]

وام تجارة الصين الى الخارج بصنف الشاي لكن المقطوع من الشاي في داخل الصين اكثر منهُ في سائر العمور وقد ادخل الاوربيون سلعهم وبضائعهم في الصين رغمًا عن اهلها وقسروهم على التجارة معهم قسرًا واعتسارًا فزادوهم بذلك كراهية لهم ونفورًا منهم مع ان الصينيين لم يكونوا يكرهون الغريب في بادىء الامر وقد اقرَّ مؤرخو الافرنج انهُ لما دخل العرب والهنود الى الصين في اوائل ظهور الاسلام بقصد التجارة تلقاهم الصينيون بالترحاب ولم يروهم ادنى شيء يريبهم كذلك البرتغال في اوائل سلطانهم في البحار لم يلاقوا اقل جفاء من الصينيين وما زال الامر كذلك حتى ازدحم الاوربيون من كل الاصناف على ابواب المملكة الوسطى وجاءوها بالمدافع والاسلحة والمحرقات وقامت المنازعات فيما بينهم فنظر اليهم الصينيون نظرهم الى قوم برابرة سفاكين للدماء ثم انهم داخلوهم في بعض المتاجر والمجالب خصوصًا الافيون فلم يقبلوا بدخولها فغمزوا قناتهم او يستقيموا معهم على قبول الافيون فشهرت انكلترا عليهم حرب الافيون سنة ١٨٤١ ووضعت الحرب اوزارها عن فتح خمس موانى للتجارة وهي كانتون وامواي وفوتشو ونينغبو وشنغاي

ثم اختلَّت المعاهدة فجرت حرب ثانية اشتركت فيها انكلترا وفرانسا وذلك سنة ١٨٥٧ واحتل الاوربيون كانتون وعقدت السلم ثم انتكثت عقدتها وتجددت الحرب ثالثة سنة ١٨٦٠ ودخل الانكليز والفرنسيس باكين عاصمة الصين في بضعة عشر الفًا وانتهبوا قصر الصيف الشهير واحتووا على ما فيهِ وفي هيعة ذلك ثار ثائر (التايبنغ) فاضطرت الحكومة الصينية ان تستعين بالاجانب على الثوار ثم ما زالت تتفتح الثغور للتجارة والصينيون ينفرون من هتك هذه الحجب والدول تتمادى في الامر شيئًا فشيئًا حتى اصطلت الحرب بين الصين واليابان فافتضح نقص الدولة الصينية وظهر عجزها ظهورًا بيّنًا هنا اليها بالاطماع وامال نحوها الرقاب وقيل لها حينئذٍ «الباب المفتوح» فتسارعت الدول الغربية للولوج منهُ وخشية ان يبعث الفتوح بالسيف بينها الى النزاع عمدت الى طريقة استئجار الاراضي على مدات طويلة وتهافت القوم على البلاد من

(١) (المقتطف) و بلغت قيمة كل الواردات والصادرات سنة ١٨٩٨ نحو ١٢٠٠ مليون من الفرنكات

كل جهة فكانت الثورة الحالية المعروفة بثورة (البوكسر) وظهر ان الامبراطورة الكافلة بدأ فيها

واعظم التجارة في الصين هي طبعاً بيد الانكليز من الاجانب ثم الاميركان ثم الالمان فالفرنسيس فاليابان الا ان اليابانيين في السنين الاخيرة قد سبقوا الفرنسيس كما ان الصينيين منذ دخول الاجانب قد اقتدوا بهم في حب التجارة واخذوا يزاحمونهم مزاحمة الفائز خصوصاً وان الصيني غير موصوف بالشره ورغابة البطن بل هو قانع راض بما قسم له والقناعة مع الثبات اجمع من الاقدام مع المخاطرة. وقد ذكر بعض كتاب الافرنج ان التاجر الصيني اعظم امانة واشد محافظة على القول من التاجر الاوربي وعنده من الروية وطول الاناة في الاشغال ما ليس عند هذا ولذلك كان الاجانب قد افادوا الصين في ادخال التجارة بينهم لان عدد التجار منهم قد ازداد جداً بعد قدوم الغربيين ديارهم حتى لم يبق في بعض الموانئ تجارة الا في ايدي الصينيين

وبسبب مزاحمة الاجانب التجارية ازدادت عناية الصين بالملاحة وبناء السفن البخارية وانت ادرى ان الصينيين يرجعون في هذا الامر الى نصاب صدق وانهم هم الذين اخترعوا ابرة المغنطيس (البوصلة) لهداية السفن بعد ان كانت تهتدي بنجوم السماء وقد شاهد السياح الذين دخلوا الى الصين في القرون الوسطى من احتفالهم بالملاحة ما ادهشهم قال السائح الشهير ماركو بولو: " ان في مياه كيان من الصين في نهر واحد من السفن والمراكب الحاملة للتاجر والبضائع اكثر مما يخفق في بحار وانهار النصرانية مجتمعة". ولم يزل هذا النهر مرسى ومجالاً للالوف من السفن والزوارق الى يومنا هذا. وفي سنة ١٨٥٠ حدث حريق هائل في ثغر او شانغ فاتلف سبعمائة سفينة كبيرة وبضعة آلاف من الزوارق دفعة واحدة فهلك خمسون الف نواتي بين الحرق والغرق وان تاجراً فرداً من اهل البلدة اوصى بعمل عشرة آلاف تابوت من ماله الخاص يوشر وورد في جغرافية البتره وكلوس الفرنسوي قوله " فكان في حريق ميناء واحد من موانئ الصين قد هلك من النواتية اكثر ممن يوجد من النواتية في موانئ فرنسا كلها "

الا ان هناك عائقاً مهماً في طريق تقدم التجارة الى الغاية التي بلغتها في بلاد الغرب ألا وهو اعواز السكك الحديدية التي لا تزال في الصين نادرة مع وجود الطرق العادية خربة والمواصلات صعبة ثم في الصين ٢١ طريقاً سلطانياً من بقايا الاولين قد تأنقوا فيها وحفروا لها الانفاق في بطون الانجاد وعقدوا الجنايا بين الوهاد واشتقوا لها المخالص من مكان الى آخر ورصفوها بالبلاط ونظموا بقيتها الاشجار وجعلوها في عرض كاف من ٢٠ الى ٢٥ متراً

واقاموا عند نهاية كل خمسة آلاف متر ابراجاً للاشارات وبنوا فنادق للنزول والتمريس وحياضاً للورود ومخافر للجند تأميناً لابناء السبيل وتسهيلاً للسفر فكانت الطرق عندهم آمن مما هي في سائر البلاد والصينيون لهم الحرية التامة يسافرون في كل انحاء المملكة بدون حرج ولا تذاكر للجواز عندهم ويحترفون بكل حرفة بدون رسم تمنع . ولما دخل ابن بطوطة الصين رأى من الأمنة في السوابل وراحة المسافر ماقضى لتجيبه كذلك سياح الافرنج من اهل القرون الماضية قالوا مثل قوله. ومما تحدثوا به عن اقتدار الصين ولا يزال الى الآن قائماً جسر في (شاوهينغ) بناه الصينيون منذ نحو الف سنة طوله مائة واربعة واربعون كيلو متراً ممتد فوق منخفضات من الارض ومسايل مياه وفيه اربعون الف عقد وعرضهُ متر ونصف متر وله رصيف . وهو جسر لم يبن بطوله الاوربيون الى الآن . الا ان اكثر تلك الطرق قد تعطل ولم يتجدد مكانهُ فقصر الصينيون عن شأو آبائهم ولم يشاءوا لاقتداء بالاوربيين فكانت طرقهم الحديثة صعبة السلوك واضرَّ ذلك بتقدم التجارة . ويقال ان الصينيين يدركون فوائد السكك ولكنهم آثروا بقاءها على حالها من الخراب ونفروا من مدّ قضبان الحديد في بلادهم فراراً من نفوذ الاوربيين وقصراً من مداخلتهم فزاد ذلك في اسباب ضعفهم ولم يجدهم في دفع الاجانب فتيلاً واذا سألت رجال الحكومة عن اغفالها هذا الامر الجليل اجابوك انهُ رحمة بالفقراء من المكارين والصحيح ما قدمناه لك

بقي علينا ان نتكلم في باب التجارة عن تجارة الافيون التي هي من اهم ما يرد الى الصين والتي لاجلها صارت الحرب فقد كانت واردات الافيون من الهند على الصين منذ سنوات من ١٥٠ مليوناً الى ٢٠٠ مليون ولا شك ان الافيون هذا مضر جداً باهل الصين لكن الناس يبالغون في درجة مضرته بهم وينسبون كل تأخر في احوالهم وقعود في عزائمهم الى تأثيره فيتجاوزون بذلك حدود الحقائق وليس كل ما يقولونهُ صحيحاً وذلك لان الاذكياء والمتعلمين من اهل الصين لا يتناولون منهُ الاَّ قليلاً ولا يظهر انهُ يؤثر في حالتهم العقلية كما يقال والتأثير انما هو في المدمنين وهؤلاء ليسوا من الزراع ولا من الصنّاع الذين منهم سواد الامة واكثر الذين يتعاطون الافيون يأخذون منهُ نفثاً وفي الاحايين. ومن الغريب ان الولاية التي يمتاز اهلها بشرب الافيون وهي ولاية (سشوان) تجد اهاليها احد اذهاناً واعظم اقداماً من اهالي سائر البلاد واذا وزعت الحشيشة على الاهالي لم يصب الواحد اكثر من ٢٠ غراماً طول السنة والبلدي من الافيون اقل فعلاً من الهندي والنبغ هناك على رواية لهُ نتائج ليست نتائج الافيون باعظم منها ويقال ان اليسوعيين هم الذين علموا اهل الصين فتّه ثم قال

بعض علماء الافرنج اما السكر الذي يسكره الاوربيون بالخمر ويضيعون به رشدهم فهو غير معروف في الصين بل قلما تجد هناك رجلاً سكران

المؤتمر الطبي الدولي الثالث عشر

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود

اجتمع في باريز عاصمة فرنسا في يونيو ويوليه واغسطس وسبتمبر من هذه السنة مائة وسبعة وعشرون مؤتمراً في أوقات مختلفة والقصد من اجتماع أعضاء كل مؤتمر عرض ما اشتغل به كل عضو في العلوم والاكتشافات في فن الطب والزراعة والتجارة والصنائع المختلفة وكافة ما تعمله الانسان

وقد تقرر في سنة ٩٧ في المؤتمر الطبي الدولي الثاني عشر الذي عقد في موسكو احدى المدن الروسية ان يجتمع المؤتمر الطبي في باريس سنة ١٩٠٠ وبناء على ذلك تألفت لجنة من مشاهير اطباء باريز يبلغ عدد اعضائها اثني عشر عضواً وانتخبت جناب الدكتور لا نيلونج رئيساً لها وجناب الدكتور شوفار كاتباً لاعمالها مع كتاب آخرين وامين صندوق ومن هؤلاء شكلت لجنة ادارة المؤتمر وقد اعتمدتها حكومة فرنسا ثم كاتبت حكومات الدول المختلفة وفي جملتها الحكومة المصرية وارسلت خطابات الى مشاهير اطباء الدنيا وانتخبت منهم رؤساء للجان الاطباء ببلادهم وبالجملة انتخبت كاتب هذه السطور رئيساً للجنة الطبية المصرية وانتخبت حضرة الدكتور عيد كاتب سر لها فقاما بخدمة الوطن والانسانية قبلنا هذه المأمورية وارسل لنا رئيس لجنة ادارة المؤتمر اللوائح ودفتر القسائم المتعلق بالمؤتمر واعلناً عن ذلك في الجرائد العربية والافرنكية فاشترك في هذا المؤتمر من اطباء مصر ستة وثلاثون عضواً خمسة عشر من المصريين أو المستوطنين والباقون من الاجانب المقيمين في القطر المصري ودفع كل واحد منهم ٢٥ فرنكاً قيمة رسم الاشتراك

وفي ٣٠ يوليه وزعت أوراق المؤتمر والمدالية على الاعضاء ثم وزعت اوراق الدعوات وعملت محلات اجتماع اعضاء كل قسم ومحلات اجتماع اعضاء كل لجنة وكان محل اللجنة الطبية المصرية والتركية في قاعة واحدة نظراً لعدم وجود محلات كافية لكل لجنة وحدها وكان محل لجنة الادارة في المدرسة العملية

وقد انتخب رؤساء شرف للمؤتمر وكان انتخابهم من اطباء الممالك المختلفة وبلغ عددهم مائة وثمانين رئيساً واما عدد المشتركين في المؤتمر فبلغ ستة آلاف ومائة وسبعين ومنهم رؤساء الشرف ومندوبو الدول . وهاك بيان الدول التي اشتركت في المؤتمر مرتبة على حروف الهجاء